

# مجلة الهلال

إبريل 2006

## أزمة الأحزاب

د. رعوف عباس

كشفت الانتخابات البرلمانية الأخيرة عن وجود أزمة حقيقة تعاني منها الأحزاب المصرية جميعاً، وعلى الرغم من السلبيات الخطيرة التي كشفت عنها الانتخابات، فهناك تصلب في شرايين التواصل بين الأحزاب والجماهير، وقطعية بين الأحزاب والقواعد الشعبية، أو حتى غياب تام لتلك القواعد.

ولعل جذور هذه الأزمة تعود إلى ميراث التجربة الحزبية منذ نشأتها في 1907، فقد كانت الأحزاب نخبوية، لها قيادات، ولكنها ليست تنظيمات قاعدية تسمح للعضو بالصعود من القاعدة إلى القيادة، بما في ذلك "الحزب الوطني" (قبل الحرب الأولى) والوفد المصري (في ظل دستور 1923). وكانت صحف الأحزاب هي أداة التواصل مع الجماهير، ناهيك عن الحملات الانتخابية وما تتطلبه من تحرك "موسمى" بين صفوف الجماهير، واعتمدت الأحزاب على الزعامة الكاريزمية لكسب تأييد الجماهير للحزب: مصطفى كامل ومحمد فريد (بالنسبة للحزب الوطني)، وسعد زغلول ومصطفى النحاس (بالنسبة للوفد).

ومن اللافت للنظر أن التجربة الحزبية المعاصرة أعادت إنتاج هذه المساوى التنظيمية البنيوية، فقد ورث "الحزب الوطني الديمقراطي" هيكل وأداء التنظيم الواحد في المرحلة الناصرية، حيث الشلية والانتهازية، والصفة البيروقراطية، والاعتماد في التواصل مع الجماهير على قيادات للجماهير موقف منها. أما أحزاب المعارضة، فقد عرفت في ميراث ما قبل الثورة، وكأن شيئاً في مصر لم يتغير، لا من حيث الأطروحات السياسية (كحالة الوفد والأحرار) فحسب، بل من حيث تأكيد "الزعامة" والاعتماد على الصحيفة كأداة تواصل مع الجماهير، وعدم الاهتمام الكافي ببناء الهيكل التنظيمي وتربية الكوادر حتى في ظل سلبيات ظروف العمل السياسي طوال ربع القرن الأخير، فشاخت قيادات الأحزاب في مواقعها وعجزت عن طرح برامج تعبر عن ظروف المرحلة الراهنة، وتمثل بديلاً لأطروحات النخبة المهيمنة على حزب السلطة.

ولعل ذلك يفسر الأزمة التي تعاني منها الأحزاب المصرية الآن، فهل وعت الأحزاب درس الانتخابات البرلمانية الأخيرة؟ سؤال مشروع يبحث عن إجابة منطقية مقنعة.